سهلة إلا من جهة الغرب ، فلم يكن للعرب إليها سبيل ، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه(ا) الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها ، فيدخلها أفراد وفرسان(ب) دون عسكر . فبقى صاحب بجاية فى ملك شامخ وعز باذخ (ج) يضاهى فى ملكه صاحب مصر ، فإن بجاية على نظر كبير وفائد عظيم . وبجاية معلقة من جبل وقد دخل فى البحر يسمى مسيون (د) ، وعليها سور عظيم ، والبحر يضرب فيه . ولها داران لصناعة المراكب ، وإنشاء السفن ، ومنها تغزا بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ٣ مجار (ر) . وهى مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم منّ الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم ، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن ، والهند ، والصين ، وغيرها . ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار ، وجميع الخيرات . وهى مشرفة ، نزيهة ، ومطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو ١٠ أميال ، تسقيه أنهار وعيون ، وفيه (س) أكثر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما ، وعليه كثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر ، وله منتزه عظيم . وفى بجاية موضع يعرف باللؤلؤة ، وهو أنف من الجبل قد خرج فى البحر ، متصل بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقرّصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ؛ قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور الحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها(ص) منتزها وجمالا . وهذا الجبل مسيون(ط) ، الذى فيه بجاية ، جبل عظيم عال قد ذهب فى الجو ، وقد خرج فى البحر ، وفيه مياه سائحة ، وعيون كثيرة وبساتين ، وهو كثير القردة ؛ ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب(ع) .

(ا) ب ، ج : يبعث عند . (ب) ك : فارس أو فارسان . (ج) «فى ملك شامخ وعز باذخ» ناقصة فى ك . (د) النص أمسيول . أنظر Fagnan ، ص ٣٥ (ر) ب ، م ، ك : بجار . (س) ك : وفيها .
(ص) «اتمها» ناقصة فى ك . (ط) ب : أمسيول ، ك : أمسيون .
(ع) ب : الذى يسمى الدوب .

قال الناظر : لما كانت هذه المدينة على ما وصفت ، وكان فيها بقية صنهاجة الموثورين (ا) ، جعلوا يداخلون أمثالهم ممن وترت دنياه وأخراه ، كأهل ميورقة المتقطعين فيها من أبناء جنسهم ، فدهم بجاية منهم على بن اسحق بن حمو بن غانية المسوفى(ب) سنة ٥٨٠ [=١١٨٤] أول ولاية الخليفة أمير المؤمنين أبى يوسف ، أيد الله أمره وأعز نصره . وعاث فيها وفى ذواتها (ج) ودرج منها إلى قسطنطينية فطردته منها عساكر الموحدين ، فتوغل فى بلاد الجريد ، وعاث فيها ، وسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وأباح الحريم ، وفعل ما هو لائق بجدته (د) ووخامة مولده (ر) . فسارع لغزوه أمير المؤمنين ، واستأصل شأفته (س) ، ومات — لعنة الله عليه — برشقة سهم على توزر ، عقب سنة ٥٨٤ [=١١٨٩][1].

مدينة مرسى الدجاج[2] : مدينة أزلية على شاطئ البحر ، والبحر يضرب فى سورها . وهى قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأول ، ولها بساتين وجنات ، وبها الطير المسمى بالسمانى كثير من البحر ، ويقابلها (ص) جزيرة ميورقة .

(ا) ب : المورثون ، ج : الموترين ، ك : المؤثرين .
(ب) القراءة فى ب : كأهل ميورقة جنسهم فنهم على بجاية منهم على بن اسحاق ابن غانية ، وفى ج : بن غانية المسوفى ، وفى ك : . . جنسهم على بجاية منهم محمد بن اسحاق بن غانية المتوفى .
(ج) ب : دارتها ، ك : دورانها . (د) ب : متحددة . والظاهر أن المؤلف يريد بهذا التعريض بجدة العائلة الميورقية وهى غانية . (ر) «وفعل ما هو لائق بجدته ووخامة مولده» ناقصة فى ك . (س) ك : شأنه .
(ص) ك : ونقار بابها .

(1) عن فتح بجاية سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وغزو إفريقية على أيدى بنى غانية أنظر E. Lévi-Provençal , Lettres officielles almohades (مجموعة رسائل موحدية ، الرسائل رقم ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥) ، Etudes, p. 58 sq. ؛ عبد الواحد المراكشى ، المعجب ص ١٩٥ ؛ ابن عذارى (Anonimo) ص ٤٣ ؛ ابن الأثير ، ج ١١ ص ٣٣٤ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٩٠ ؛ A. Bel, le Banu Ganiya .
(2) قارن البكرى ، ص ٦٥ ، ٨٢ ؛ الإدريسى ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥١ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٥ – ١٧٦

مدينة جزائر بنى مزْغَنَّاى (ا)[1] : مدينة أزلية على ضفة البحر ، والبحر يضرب فى سورها . وهى قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم ؛ وفيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملونة(ب) مثل الفسيفساء ، فيها صور الخيل والحيوان بأحكم صناعة ، وأبدع عمل . ويتصل بجزائر بنى مزغناى فحص كبير يسمى فحص مَتيْجة ، وهو فحص عظيم كثير الخصب والقرى والعمائر تشقه الأنهار ؛ وهو مرحلتين فى مثلها قد أحدقت به جبال مثل الإكليل . وفى آخر هذا الفحص جبل عليه الطريق ، وهو وعر المجاز ، يسمى حلق واجر (ج) ، ويسميه أهل البلاد باب الغرب ؛ وليس يدخل إلى بلاد الغرب إلا منه . وكانت بمدينة بنى مَزْغَنَّاى كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان ، بقى اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة للعيدين (د) ، وهو كثير النقوش والصور . ومرساها مأمون ، وفيه عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن ؛ ويقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكله . وتليها بجهة الغرب مدينة لغانية .

مدينة لغَانية[2] : هى مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول ؛ وهى غير مسكونة ، ولها نهر يصب فى البحر . ويقابل هذا المرسى — فى بر الأندلس — مرسى مدينة دانية أو هو أوسع بوسطه فى هذا البحر .

مدينة شَرْشَال[3] : مدينة كبيرة فيها آثار للأول ، وهى غير مسكونة . وفيها بنيان عجيب (ر) يسمى محراب سليمان قد علا فى الهواء ؛ ويقابله من الأندلس مرسى ألاقَنْت(س) .

(ا) ب : مزغنة . (ب) ك : ملفقة .
(ج) ك : حلق واحد . أنظر البكرى ، ص ٦٥
(د) هنا يوجد خرم فى ك مقداره عدة صفحات . (ر) ج : عظيم .
(س) ب : لطنت .

(١) قارن البكرى ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ الإدريسى ، ص ٨٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٦٤ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥٢ ؛ العبدرى ، المخطوط ، ص ١٥ — ا .

(٢) البكرى (جنابية) ، ص ٨٢

(٣) البكرى ، ص ٨١ — ٨٢ (هذه المدينة تقع بالنسبة للأندلس أمام المرية ، أما لقنت فهى واقعة أمام مدينة أكور على بعد ٢٠ ميلا شرق تنس) ؛ الإدريسى ، ص ٨٩ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ . قارن Fagnan ، هامش ١ ص ٤٠

مدينة تنس[1] : بينها وبين البحر ميلان ، وهى مدينة مسورة حصينة ، وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها عامل تنس لمنعتها . وبها مسجد جامع وأسواق حفيلة كثيرة ، ولها نهر يسمى تامسَن يأتيها من جبال القبلة ثم يستدير بها من جهة الشرق والجوف ، ويصب فى البحر . وهى كثيرة الزرع ، رخيصة الأسعار ، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم . ولكنها وبيّة ، من يدخلها لا يسلم من المرض ، وكثيرا ما يموت بها الغرباء . ولذلك قال بعض الشعراء فيها :

أيها السائل عن أرض تنس(ا) بلد اللؤم لعمرى والدنس
بلد لا ينزل القطر بهـــا للندى فى أهلها حرف درَس
فصحاء النـطق فى لا أبـدا وهم فى نعم بكم خرُس
ماؤها من قبح ما خصت به نجس يجرى على أرض نجس
فـتى تلعن بلادا مرة فاجعل اللعنة اذا بالتنس

وأعلمنى الثقة أن بها فيران ضخمة .

مدينة قصر الفُلُوس[2] : هى مدينة كبيرة ، مرسى للمراكب ، فيها آثار كثيرة للأول تنبىء أنها كانت دار مملكة ؛ وهى اليوم خراب . وفيها ماء مجلوب على قناطر (ب) بأغرب ما يكون من البناء القديم .

مدينة وَهْران[3] : هى مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى ، بالاتفاق (ج) مع قبائل البربر المجاورين لها ؛ فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بنو مَسْكين نحو ٧ أعوام . ثم إنه

(ا) ب : تونس . (ب) النص : قناطير . (ج) النص : بالتفاق .

(١) البكرى ، ص ٦١ وتابع (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٧٧) . قارن الإدريسى ، ص ٨٣ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢١٥

(٢) البكرى ، ص ٧٩ ، ٨١ ، قارن ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١١٨ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٢٢

(٣) البكرى ، ص ٧٠ — ٧١ . قارن الإدريسى ، ص ٨٤ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٩٩

زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثأرا بينهم وبين بنى مسكين فأبى من كان فيها من الأندلسيين ، وكان عندهم جماعة منهم ، فنصبوا عليهم الحرب . فلما ضيقوا عليهم هربوا بنى مسكين فى الليل ؛ وتغلب البربر المحاصرون لها عليها وأخرجوا من كان فيها ، وأضرموا نارا فخربت وهران عند ذلك ، وبقيت سنين خربة ؛ ثم تراجع الناس إليها وبنوا فعادت أحسن مما كانت . وهى مدينة كثيرة البساتين والثمار ، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرحاء وعيون ، وهى من أعز البلاد . ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة ؛ وأهلها موصوفون بعظم الخلق وكمال القامة والإباء (ا) والشدة .

قال أبو عبيد البكري : أخبرنى غير واحد ممن دخل هذه القرية ورأى أهلها أن الرجل الكامل من غيرهم يكون إلى منكب الرجل منهم . وأنه كان رجل منهم أراد أن يقيم بيتا ، فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا كبيرا وسكنه . ولوهران مرسى كبير ، مشتى للسفن ، يكن من الريح لأنه فى حوز(ب) جبل مطل على وهران مرتفع .

مدينة أرشجول (ج) [1]: مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة ؛ وهى على نهر تافنى (د) وهو نهر كبير تدخل فيه السفن . والمدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف . وهى ساحل تلمسان ، بينها وبين تلمسان فحص زيندور لحرث القمح (ر) وهو مبارك مشهور البركة .

مدينة أسلى [2] : وهى بشرقى أرشجول بمقربة منها ؛ وكانت مدينة قديمة عليها سور من صخر ؛ وكانت حصينة ، ولها نهر يسقى بساتينها وثمارها .

(ا) ب : الأبد . (ب) ج : جوف . (ج) ج : أرشكول .
(د) ج : بأوف ، ب : بأدنى . قراءة البكرى هى الصحيحة أنظر ص ٧٧
(ر) ب ، ج : فحص تربة لحرث القمح .

(١) البكرى ، ص ٧٧ – ٧٨ . قارن الإدريسى (أرشقول) ، ص ١٧٢ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل (أرشكول) ، ص ٥٣ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧١
(٢) البكرى (أسلن) ، ص ٧٩

مدينة فكان (ا) [1] : هى مدينة أزلية كبيرة فيها آثار كثيرة للأول ، ثم إنها خربت ، فبعث إليها المنصور بن أبى عامر من بناها وعمرها . وهى قريبة من البحر .

حصن زيان [2] : له نهر كثير الثمار والأشجار ؛ وبالقرب منه حصن الفروس وهو على قنة جبل على ضفة البحر ؛ وبالقرب من هذا الحصن ؛ الوردانية ، وحصن وهنين (ب)، ومرساه مقصود وله بساتين كثيرة .

مدينة ندرومة (ج) [3] : من طرف (د) جبل تاجرا ؛ وهى مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار . ولها بسائط خصيبة (ر) ومزارع كثيرة ؛ وبينها وبين البحر نحو ١٠ أميال . وبساحلها نهر ماء يسيل ؛ وهو نهر كثير الثمار ، وله مرسى مأمون مقصود ، وعليه رباط حسن فيتبرك به . وقيل إنه من أتى [فيه] منكرا لم تتأخر عقوبته ؛ وقد عرف ذلك من بركته ، وحسن صنع الله فيه .

مدينة ترنانا [4] : كانت مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر ، وكانت محطا للسفن ومقصدا لقوافل سجلماسة وغيرها . وكان سكانها من قبائل البربر ومطغرة(س)؛ وهم أعدل من هناك من البربر . وعلى هذا الساحل مدن كثيرة قد خربت ، وكانت فى سالف الأزمان آهلة كثيرة الخصب ، مثل مدينة تاجريت (ص) وهى ساحل ، وبه مدينة مليلة [5] ، وهى مدينة قديمة

(ا) ج : فاكان . (ب) ب : حصن حصين . (ج) ب : ندروم .
(د) ب : من قرب . (ر) ج : مفيدة . (س) ج : من قبائل البربر مطغرة .
(ص) قراءة البكرى (ص ٢٠٤) تافرجنوت ، الإدريسى (ص ٢٠٥) تافر جنيت ، أنظر Fagnan هامش ٣ ص ٤٤

(١) البكرى ، ص ٧٩ (يعزى بناء أسلن من جديد الى بن أبى عامر بينما ينسب تأسيس فكان الى يعلى بن محمد محمد بن صالح . أنظر Fagnan ، هامش ٢ ص ٤٣ . قارن الإدريسى (أفكان) ، ص ٨٢ – ٨٣
(٢) البكرى (حصن ابن زينا) ، ص ٧٩
(٣) البكرى ، ص ٨٠ . قارن الإدريسى ، ص ٨٠
(٤) البكرى ، ص ٨٠ ؛ الإدريسى ، ص ٨٠
(٥) البكرى ، ص ٨٨ – ٨٩ ؛ الإدريسى ، ص ١٧١ – ١٧٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٦٤١ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٧ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ العبدرى (ملاله) ، المخطوط ، ص ١٤٧ – ا

مشهورة ولها سور صخر وداخلها قصبة مانعة . ودخلها الناصر سنة ٣١٤ [=٩٢٦] ، وبنى سورها .

مدينة عَجْرُود[1] : مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة ومرسى مقصود .

مدينة نُكُر[2] : وهى مدينة كبيرة ، بينها وبين البحر نحو ١٠ أميال ؛ وهى بين رواب (ا) وجبال ،ولها نهران أحدهما يسمى(ب) نُكُر وبه سميت ، ومخرجه من بلاد كزناية(جـ) من جبل كوين (د) ؛ ومن هذا الجبل ينبعث النهر المعروف بورْغَة ، وهو نهر كبير مشهور من أنهار المغرب . ومدينة نكر كثيرة البساتين طيبة الفواكه لاسيما الكمثرى والرمان ، فليس يوجد مثلها فى بلدة . وهى قديمة أزلية افتتحها سعيد(ر) بن إدريس بن صالح الحميرى ، وهو المعروف بالعبد الصالح ،فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان . وكان دخل أرض المغرب فى الافتتاح الأول قبل موسى بن نصير ، وعلى يديه أسلم البربر المجاورين(س) لهذه المدينة ، وهم صنهاجة وغمارة . ثم ارتد منهم بشر كثير لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام ، ثم تلافاهم الله بهدايته(ص)؛ ومات سعيد المذكور ودفن بقرية أقطى (ط) على شط البحر ، وولى ذلك البلد بنوه . وكانت لهم حروب كثيرة مع قبائل البربر ، وكانوا قد تصاهروا مع الحسنيين من بنى إدريس ملوك المغرب . وبجاور مدينة نكر جبل غمارة ، وتحته مراسى كثيرة ،منها مرسى باديس(ع)، عليه عمارة كثيرة من البربر ، وفيه السعر رخيص ومنه تحمل المراكب الطعام .

(ا) ب : دوايب . (ب) «يسمى» ناقصة فى ب .
(جـ) ب : كرائبة . (د) أنظر Fagnan ، ص ٤٥
(ر) النص : سعد . أنظر Fagnan ، ص ٤٥ (س) ب : المجاورة .
(ص) القراءة فى ب : ثم تلا بهم الله بعد لايته . (ط) ب : الطى ، ج : أكفصر أما اقطى فهى قراءة البكرى : أنظر Fagnan ، ص ٤٥
(ع) ب : مراسى بادس ، ج : مرسى بايدس ، البكرى (ص ٩٠) : باديس وانظر Fagnan ، ص ٤٦

(١) البكرى ، ص ٨٩ ؛ الادريسى (ص ١٦٣ – ١٦٤) لا يتكلم إلا عن موقف على الطريق من مصر الى المدينة يسمى عجرود .

(٢) البكرى ، ص ٩٠ وتابع . قارن الادريسى (يزكور أو نكور) ، ص ١٧١ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣

مدينة تِيطّاوَان[1] : وهى مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع ، طيبة الهواء والماء .

مدينة سَبْتَة[2]: وهى على ضفة البحر ، وهو بحر الزقاق ؛ والبحر قد أحاط بها شرقا وجوفا وقبلة؛وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية الغرب ، لو شاء أهلها أن يقطعوه لقطعوه (ا) . ولها بابان أحدهما محدث(ب). ولها من جهة البحر أبواب كثيرة . وفى آخر المدينة بشرقها جبل كبير فى شعراء كثيفة يسمى جبل المينا (جـ) ، وقد كان محمد بن أبى عامر (د) أمر أن يبنى بهذا الجبل مدينة وينقل إليها أهل سبتة ،فبنى سورها ومات ولم يتم ما أراد ؛ والسور باق إلى وقتنا هذا كأنه مبنى بالأمس ؛ وهو يظهر من بر الأندلس لبياضه . ومن غريب ما فى ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأبراجها مبنية بالزيت عوضا من الماء،وكان غرضه إتمام عمله(ر)على هذا لولا الإنفاق الكثير ،فان البناء بالزيت أصلب وأبقى على مرور الدهور (س) والأزمان ، فلم يساعده الأجل رحمه الله .

ومدينة سبتة مدينة قديمة سكنها الأول ، فيها آثار كثيرة وكان لها ماء مجلوب من نهر قرية أويات(ص) على ٣ أميال منها ، يجرى الماء فى قناة مع ضفة البحر القبلى الذى يعرف ببحر بسول(ط) ، وكان يدخل كنيستها التى هى اليوم جامع سبتة. وأمر الخليفة أمير المؤمنين أبو يعقوب رضه سنة ٥٨٠ [=١١٨٤] بجلب الماء إليها من قرية بَلْيُونُش المذكورة(ع)، على ٦ أميال من سبتة،فى قناة تحت الأرض

(ا) «لقطعوه» ناقصة فى ج . (ب) ب : تحدث . (جـ) أنظر Fagnan ، ص ٤٦ (د) ب : عبد الملك بن مروان ، ج : عبد الملك بن أبى عامر. أنظر الإدريسى ، ص ١٦٧ ؛ البكرى ، ص ١٠٣ (ر) ينتهى هنا الخرم الموجود فى ك . (س) ك : مر . (ص) ماويات .
(ط) ب ، ك : بسوال ، ج : ببوال ولكن قراءة البكرى هى الأصح (ص ١٠٢)، أنظر Fagnan ، ص ٤٧ (ع) ب ، ج : بليوانش .

(١) قارن الإدريسى (تطاوان تسكنها قبيلة تسمى مجسكة) ، ص ١٦٧

(٢) البكرى ، ص ١٠٢ وتابع ؛ الإدريسى ، ص ١٦٧ – ١٦٨ (حسب الإدريسى بنى ابن أبى عامر سورها وأمر بنقل المدينة إلى سفح الجبل) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٣ ؛ المقدسى ، ص ٢٢٩ ؛ أبوالفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٦٩ ، ١٨٦ وهامش ٤ ص ١٨٥ (عن قصر المجاز) . يتكلم البكرى عن جبل القردة عند ما يتكلم عن مدينة طنجة (ص ١٨٣) .

حسب ما جلبه (ا) الأوائل فى قرية قرطاجنة وغيرها . وشرع العمل فعرضت أمور أوجبت التربص إلى حين يأذن الله تعالى بذلك ، والرجاء الآن مؤمل ونحن فى سنة ٨٧ [٥][=١١٩١] . وعلى قرية بَلْيُونَش المذكورة جبل عظيم فيه القردة ، عبر من تحته موسى بن نصير إلى ساحل طريفة فسمى به وهو الصحيح . وكان عليه حصن هدمه مصمودة المجاورون له ، ثم بناه الناصر عبد الرحمن المروانى ، فهدموه ثانية . وتحته أرض خصيبة فيها مياه عذبة ، ومنه إلى مرسى باب اليم (ب) ، وعليه قرية تعرف بقصر مصمودة ، ولها نهر يصب فى البحر عذب ؛ ومنه يقرب الجواز إلى جزيرة طريفة ١٨ ميلا .

مدينة طَنْجة [١] : هى مدينة كبيرة أزلية ، فيها آثار كثيرة للأول وقصور وأقباء وغيرها . وكان فيها ماء مجلوب فى قناة كبيرة ، وبخارجها ماء طيب (ج) يسمونه بَرْقَال حمل (د) شناعة الحمق فهم يعيرون بشربه ؛ فيقال لمن تهافت منهم : « شربت ماء بَرْ قال لا جناح عليك » ؛ وفيه يقول الشاعر :

بطنجة عين ماء وسط رمل | لذيذ ماؤه كالسلسبيل
خفيف وزنه عذب ولكن | يطير بشاربه (ر) ألف ميل

وكان فيها رخام وصخر منجور جليل ؛ منها كانت القنطرة على بحر الزقاق إلى ساحل أندلس التى لم يكن فى العالم مثلها . وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس ؛ فلما كان قبل فتح المسلمين جزيرة الأندلس بنحو ٢٠٠ سنة ، طغى ماء البحر وخرج من البحر المحيط إلى بحر الزقاق ، فغرق هذه القنطرة وغيرها من المواضع المجاورة لها . ويذكر أن طولها كان ١٢ ميلا ، وسعة المجاز اليوم فى موضعها ٣٠ ميلا ونحوها . وتبدو هذه

(ا) ك : جافة . (ب) ب : باب البحر ، ج : باب البرّ ، ك : باب اليم ، البكرى : باب الميم . أنظر Fagnan ، ص ٤٨

(ج) ج : ودجاجها عينى ، ك : وصهاريج ولها عين ماء . (د) ب : حصل .

(ر) ب : يطير شاربها ، ج : شرابه .

[١] البكرى ، ص ١٠٤ ، ٤٠٩ ؛ الإدريسى ، ص ١٦٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٥٨ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٥٩) ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٢١٢ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٩٨

القنطرة للمراكب فيتحفظون منها ؛ ويقال إنها تنكشف فى آخر الزمان ويجوز عليها الناس ، والله أعلم بغيبه .

وقيل (ا) إن طنجة آخر حدود إفريقية فى المغرب ؛ ومسافة ما بين طنجة والقيروان ١٠٠٠ ميل . وهى طنجة البيضاء المذكورة فى التواريخ . وقيل إن عمل طنجة كان مسيرة شهر (ب) فى مثله ، وإن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينة طنجة ، وذلك من أجل القنطرة لئلا يفجأ العدو إحدى الجهتين ، والله بغيبه أعلم . وإذا حفرت خرائب طنجة وجدت فيها أصناف الجوهر ، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة . وقيل إنه يسامت طنجة فى البحر المحيط الأعظم الجزائر المسماة قَرْطنَا قُش (ج) ومعناه السعيدة ، سميت بذلك لأن أرضها تحمل الزرع دون حرث ، وشعراؤها وغياضها كلها أصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون غراسة (د) ، وفيها أصناف الرياحين العطرة بدل الشوك . وهى متفرقة فى البحر متقاربة بغربى بلاد البربر ، يذكر ذلك أهل سواحل المغرب ؛ وقد رأيت من امتحن فى طلبها . ويقال ، لطنجة نهر كبير تدخل فيه السفن يصب فى البحر ، وهو يأتى من جبال طنجة وتأتى فيه سيول عظام تذهب ببعض دورها .

مدينة أَصيلا (ر) [١] : كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة آهلة كثيرة الخير والخصب . وكان لها مرسى مقصود ، وكان سبب خرابها أن المجوس إذا خرجوا من البحر الكبير فأول ما يلقون مدينة أصيلا ، فينزلون بمرساها ويخربون ما قدروا منها ، فيجتمع البربر فيحاربونهم ؛ فكانوا معهم على ذلك مع ما كان بين أهل تلك البلاد من الفتن . ويقال إن المجوس قصدوا إليهم مرة فاجتمع البربر لقتالهم ، فقالوا لهم : « ما جئنا لقتال وإنما لنا ببلادكم أموال وكنوز ، فتنحوا عنا حتى نستخرجها ونشاطركم فيها » . فرضى البربر بذلك واعتزلوا عن الموضع

(ا) ك : وقال . (ب) ب : كان مسير شهرا . (ج) ب : قرطناقس وقرطاقس ، ك : قرطناش . أنظر البكرى ، ص ١٠٩

(د) «دون غراسة» ناقصة فى ب ، ج . (ر) البكرى (ص ١١١) : أصيلة وأصيلى ؛ الإدريسى (ص ١٦٩) أزيلا ؛ ياقوت (معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٣٥) : أزيل .

[١] أنظر البكرى (أصيلة وأصيل) ، ص ٨٦ ، ١١١ ، ١١٢ . قارن الادريسى (أزيله ، وأزيلا) ، ص ١٦٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (أزيله) ، ج ١ ص ٢٣٥ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٥٥

الذى ذكروا لهم ، فحفر المجوس موضعا من تلك المواضع التى زعموا فوجدوا على الحبء مطامير من الدخن فاستخرجوه ، فلما نظر البربر من بعيد إلى صفرة الدخن ظنوه تبرا ، فبدروا إليهم ونقضوا عهدهم وهرب المجوس إلى مراكبهم . فلما أصاب البربر الدخن ندموا فرغبوا إلى المجوس أن يرجعوا إلى استخراج المال فأبوا ؛ وقالوا : « قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا » .

مدينة تُشمّس(ا)[1] : وهى مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول ؛ وهى على نظر واسع كثيرة الخصب والزرع والضرع . وهى تشبه بلاد الأندلس ، وبقربها بحيرة كبيرة تسمى أمسنا ، يصب فيها البحر ٧ أعوام وتصب هى فى البحر ٧ أعوام ؛ وينقطع البحر عنها فتظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك . وبين البحر والبحيرة مسجد مقصود يسكن حوله النساك وأهل الخيرة ، وأمرهم مشهور بتلك الجهات معروف .

مدينة سَلاَ[2] : اسمها بالعجمى شلّة (ب) ؛ وهى مدينة أزلية فيها آثار للأول . وهى معروفة بضفة الوادى ، متصلة بالعمارة التى أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين وآباؤه المكرمون . وقد كان اتخذ أرباب البلد العشريون وأولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية ، وهى المعروفة الآن بسلا ، فيها ديارهم بحومة الجامع ؛ ولم يبق منه سوى المنار ، وأما السقف كله فتهدم واحتمى الغرباء فى بنائه فى سنة ٥٧٤ [= ١١٧٨] . وأمر الخليفة أبو يعقوب رضه ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التى أحدثها الإمام أمير المؤمنين ، وفى هذه القصبة جامع وقصور ، وصهاريج الماء أمام الجامع وهو مجلوب من نحو ٢٠ ميلا . وفى هذه المدينة المحدثة قيسارية عظيمة وحمامات وفنادق(ج) وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع

(ا) ك : نشوس . (ب) ب : شلا . (ج) ك : وحمام وفندق .

(١) البكرى ، ص ١١٣ ؛ قارن الإدريسى (تشمش) ، ص ١٦٩ ؛ ابن حوقل (وادى تشمس) ، ص ٥٤

(٢) البكرى ، ص ٨٧ ؛ الإدريسى ، ص ٧٢ – ٧٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٠٩ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٥ ، أبو الفدا ، الترجمة ، ص ١٨٣ . هنا تعتبر المعلومات التى يمدنا بها المؤلف أصيلة كبيرة الأهمية .

أعدت لورود المحلات عليها – إذ [أن] وضعها على المجاز والمعبر (ا) – إلى حضرة مراكش كلأها الله . وعلى هذا المعبر قنطرة مركبة على ٢٣ معدية ، مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذى لا يؤثر فيه الحافر ، تجوز عليها العساكر والمسافرون ؛ وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل(ب) . ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر ، فتعوم عليه المراكب وترسو دونه الأجفان الكبار ؛ وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة (ج) المدخل ، وهو مشهور عند أهل صنعة البحر . ويقابله من مراسى بر الأندلس وادى شِلْب(د) ، وبينهما فى البحر يوم وليلة . وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المبانى الرفيعة والمنارة البديعة ، وما هى وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب منتزهات الدنيا ، لاسيما فى الأعوام الخصبة والفصول المعتدلة . وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر ، والزوارق فى الوادى بركابها ، والمنارة المطلة ، وعلاقات الثمار ، وعقد الزيتون ، وجدر الكرمات ، وقبب(ر) الجلوس للسادات أيدهم الله ظاهرة ، وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة . وماهى فى أوقاتها إلا أملح(س) من ديار مصر ، وما يحكى عن دجلة والفرات ؛ فإنا لله على الفناء والممات ؛ ولله در من قال :

الناس مثل حباب ... والدهر بركة ماء
فعالم فى طفو ... وعالم فى انطفاء

وقد ذكرت البلاد الساحلية والتى تقرب من الساحل أو دونهما ، مثل القيروان ، للضرورة الباعثة على ذلك . ومن الناس من يرى أن طنجة آخر بلاد الساحل ، ويعتقد أن بحر أقناش إنما مدخله من هناك حيث أشبر تيال(ص)[1] ؛

(ا) ب : إذا وضعت على المحاجز والمعبر .
(ب) ب ، ج : الشوابل . (ج) ك : بصعبة .
(د) ك : ثعلب . (ر) ج : قباب . (س) ك : أحسن .
(ص) ك : اشرفتيال . أنظر Fagnan ، ص ٥٤

(١) اشبرتيال عبارة عن تحريف كلمتى «الطرف الأغر» . قارن أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ هامش ٢ ص ٢٦٩ ؛ Fagnan هامش ١ ، ٢ ص ٥٥

وأنا أقول إن مدخل هذا البحر إنما هو من طرف ايغير (ا) الذى خلفه بلد نُول ؛ ويقابله طرف الريحانة (ب) حتى لو قطعه مركب بريح مصطحبة لأخذ أحدهما من مقابله (ج) .

ذكر البلاد الصحراوية

والتى تقرب من الصحراء بمرحلة أو أكثر من الإسكندرية إلى آخر بلاد المغرب

مدينة المُـنَى[1] : هى أول مدينة تلى الاسكندرية على طريق الصحراء ، وهى ٣ مدن قائمة البناء خالية ، فيها قصور شريفة فى صحراء رمل ، يقطع فيها العرب على القوافل . ويسكن فى بعض تلك القصور الرهبان ؛ وبعدها كنيسة غريبة البناء فيها عجائب من الصور والنقوش ، توقد قناديلها ليلا ونهارا لاتطفأ ؛ وفيها صور الأنبياء عليهم السلام وصورة مريم عم فى عمود من رخام . وخارج الكنيسة صور جميع الحيوان والصناع والتجار ، ومن جملتها صورة تاجر الرقيق ، وبين يديه خريطة مفتوحة فى الأسفل ، تنبىء أن التاجر فى الرقيق لاربح له . وفى وسط الكنيسة قبة فيها ٨ صور يزعمون أنها صور الملائكة (د) ، وفى جهة من الكنيسة مسجد محرابه إلى القبلة يصلى فيه المسلمون . وبقربها مدينة خربها الروم فيها قصور تعرف بقصور أبى معد (ر) ، يسكنها من قريش نحو ٢٠ بيتا ، وحواليها (س) قبائل كثيرة من العرب من بنى مُذْحِج وغيرهم ؛ وقبائل كثيرة من البربر . ويذكر أن كثيرا ما تتبدل صورة المولود عندهم

(ا) «ايغير» ناقصة فى ب . (ب) ك : أبى بجانة .

(ج) القراءة فى ك : حتى قطع مركبان بريح مصطحبة لآخرها من مقابلة الآخر .

(د) ك : الملكية . (ر) ج : ابيعد . (س) ك : ومواليها .

[1] البكرى (منا وأبو مينا) ، ص ٢ ، ٣ ، ٤ ؛ أنظر Quatremère, Notice d'un Manuscrit..., p. 9 — 10

فيصير فى خلق الغول والسعلاة ، وإن عاش (ا) يعدو على الناس حتى يغل ويقيد . ولأجل ذلك يشتم أهل تلك البلاد وأهل إفريقية بعضهم بعضا يقولون : يامبدول(ب) . وقد أخبر الثقاة أنهم عاينوا ذلك وتحققوه .

مدينة بَرْقة[1] : وهى مدينة كبيرة أزلية قديمة ، فيها آثار كثيرة للأول ؛ وهى فى صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها ؛ وعلى ٦ أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة . وأرض برقة كثيرة الخصب تصلح السائمة فى مراعيها ؛ وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من غنم برقة لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها (ج) . واسمها باللغة الإغريقية بنطابلس (د) ، تفسيره ٥ مدن (ر) . ويذكر أن فى تلك الخرائب التى ببرقة والآثار القديمة دار منقورة فى حجر صلد ، عليها باب من حجر صلد كذلك ، من أغرب ما يكون فى الدنيا ، لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ، ولا بين العتبة والباب ؛ ولا يفتح الباب إلا للداخل ، ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر ، ويقال إنه كان مفتوحا لا قفل له . وأخبرنى بعض من دخل ذلك الطريق أن رجلا دخل فيه ليرى الدار ، فرأى دارا منقورة فى حجر صلد ، وفيها من عظام الناس كثير ، فهاله ذلك فأراد الخروج فوجد الباب قد انغلق ولم يقدر على فتحه ، وأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث بفتح الباب ، ففتحه فخرج الرجل . وفى تلك الآثار عجائب لمن يتأملها .

(ا) ك : يعاشر .

(ب) هنا يوجد اضطراب فى ب (ص ٦٦ — ب) إذ تأتى صفحة خاصة بمدينة فاس (أنظر طبعة Kremer ص ٧١) . أما عن بقية الحديث عن برقة فهو يوجد فى ص ٨٩ — ب (السطر قبل الآخير وتابع) . (ج) « لذة لحمها » ناقصة فى ك . (د) ك : بناطابلس . (ر) ك : تفسيره حسن .

[1] البكرى ، ص ٤ (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٥٧٣ ؛ العبدرى ، المخطوط ، ص ٤٧ — ب) . قارن الإدريسى ، ص ١٣١ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٩٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ ؛ ابن حوقل ، ص ٤٣ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٢٣

مدينة أجدابية[1] : هى مدينة كبيرة فى صحراء صفا ، وآبارها منقورة فى ذلك الصفا (ا) ؛ طيبة الهواء والماء وبها عين ثائرة عذبة (ب) ، ولها بساتين ونخل يسير (ج) ؛ وبها جامع حسن البناء بناه الشيعى ، وله صومعة مثمنة بديعة العمل . وبها حمامات وفنادق كثيرة ، وأسواق حافلة مقصودة ، وأهلها ذو يسار وأكثرهم أقباط (د) ، وبها نبذ من صرحاء لواته . وليس لمبانيها سقوف من خشب ، وإنما هى أقباء من الطوب لكثرة الرياح بها . ثم كذلك قبائل البربر والعرب إلى جبل نفوسة[2] وطوله من المشرق إلى المغرب ٦ أيام ؛ وبينه وبين القيروان ٦ أيام ، وفيه مدن كثيرة . وفى هذا الجبل مواضع كثيرة فيها آثار قديمة للأول ، عجيبة فيها غرائب لمن تأملها . ووصل عمرو بن العاص — رحمه الله — إلى جبل نفوسة وافتتحه وكان أهله نصارى ، وفى جبل نفوسة رجع بكتاب عمر بن الخطاب رضه . وفى وسط هذا الجبل مدينة جادوا (ر) [وهى] مدينة كبيرة لها أسواق حافلة وأكثر أهلها يهود ، وهى أم قرى جبل نفوسة .

مدينة شرُوس[3] : وهى مدينة كبيرة جليلة قديمة ، فيها آثار للأول ، وأهلها إباضية(س) ، وليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى ؛ وفى نظرها أزيد من ٣٠٠ قرية . ولا يرون فى مذهبهم الجمعة ، وفى هذا الجبل أمم كثيرة على مذاهب شتى ، وأكثرهم إباضية(ص) . وليس لهم أمير يرجعون إلى أمره وإنما

(ا) « وآبارها منقورة فى ذلك الصفا » ناقصة فى ك . (ب) هنا لا توجد الجملة السابقة فى ك (أنظر هامش (ا) السابق) . (ج) ج : كثير . (د) النص : انباط . انظر Fagnan ، ص ٥٥ وهامش ٤ ؛ هامش ٢ ص ١٤٩
(ر) «جادوا» لا توجد إلا فى ب فقط . (س) ك : وعليها خوارج .
(ص) ك : خوارج .

(١) البكرى ، ص ٥ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 14).الشيعى هو أبو القاسم القائم الخليفة الفاطمى الثانى . قارن الإدريسى ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ص ١٣٢ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ١ ص ٢٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨ — ١٨٠ .

(٢) قارن البكرى ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 19) ؛ الإدريسى ، ص ١٠٥ (طول هذا الجبل مسير ثلاثة أيام) ، ١٢٢ — ١٢٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٠٠ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٩ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٣ ص ٢٢٢

(٣) البكرى ، ص ٩ (Quatremère, Notice d'un Manuscrit, P. 20) ؛ قارن الإدريسى ، ص ١٠٥ ؛ ياقوت ، معجم البلدان (شروس) ، ج ٤ ص ٨٥ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٨

لهم شيوخ وفقهاء فى مذاهبهم يرجعون إلى أمرهم ، ولهم رخص كثير فى مذاهبهم . أخبرنى الثقة قال : رأيت رجلا دخل بلادهم فرأى إنسانا قد أراد التطهر ، فنزل على ماء ونزع ثيابه وجعل يشبر كأنه يغتسل ، وكأنه يتوضأ ، وكأنه يريق على رأسه وعلى جسده الماء . فقال له الرجل ما هذا ، فسكت عنه حتى فرغ ، فأخذه الرجل الغريب وحمله إلى حاكم البلد ، وقال له رأيت هذا يفعل كيت وكيت . فقال له الحاكم : من أين أنت ، فقال من المغرب ؛ فقال والله لولا أنك غريب ببلدنا لأدبتك ، وما يدريك لعل له عذرا ؛ قال الله تعالى : « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر[1] » . وهذا أفضل مذاهبهم (ا) فإن فيهم من لا يرى الاغتسال بالماء جملة ؛ وإذا كان على أحدهم غسل يتمرغ فى التراب ويتيمم مكان الوضوء ؛ وببلاد إفريقية من هذا المذهب كثير . والزنا الحرام (ب) بجبل نفوسة فى مذهبهم : ما منهم رجل غنى إلا وله وصائف (ج) كثيرة يلبسهن فاخر (د) الثياب ويحليهن بالحلى ، ويبرزهن على الطريق للفواحش (ر) ؛ ولهم ديار معدة لذلك ، وهذا عندهم معروف لا ينكر . ومن جبل نفوسة إلى بلد غدامس ٧ أيام فى الصحراء ؛ والماء منها على مسيرة ٣ أيام وأكثر . وبلد غدامس بلد كبير ونظر واسع كثير النخل والمياه ؛ وأهلها بربر مسلمون لا يلتثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرها .

مدينة غدَامس[2] : مدينة لطيفة قديمة أزلية ، وإليها ينسب الجلد الغدامسى . وبها دوامس وكهوف كانت سجونا للملكة الكاهنة التى كانت بإفريقية ؛ وهذه الكهوف من بناء الأولين ، فيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الأرض ما يحار الناظر إليها إذا تأملها ، تنبىء أنها آثار ملوك سالفة

(ا) ب : وهذا أفضل من مذهبكم . (ب) ب ، ج : الخدم .
(ج) ك : بنات . (د) ك : بأفخر . (ر) ك : الفواحش .

(١) القرآن : سورة ٢ ، آية ١٨١

(٢) أنظر البكرى ، ص ١٨٢ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ص ٧٧٦ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٣٠٣

وأمم دارسة ؛ وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وإنما كانت خصيبة عامرة . وأكثر طعامهم التمر، والكمأة تعظم بتلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أحجارا . ومن غدامس يدخل إلى تاْدَمكّة (ا) [1] وغيرها من بلاد السودان .

مدينة زَوِيلة [2] : مدينة كبيرة قديمة أزلية فى الصحراء ، تقرب من بلاد كانِم (ب) وهى من السودان ؛ وقد أسلموا بعد الـ٥٠٠ من الهجرة [=١١٠٦] وهى مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق ، ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد . ولما فتح عمرو بن العاص برقة وجبل نفوسة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وافتتحها ؛ وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبلد زويلة كثير النخل والثمار ، وبقربها قصر واجان [3] ، وهو قصر عظيم على رأس جبل فى طرف المغازه ، وهو مثل المدينة ؛ فسار إليه ١٥ يوما فنزل عليه وحاصره نحو شهر ، فلم يقدر . فمضى أمامه على قصور كُوار ففتحها ، وأخذ ملكها فقطع أصبعه ؛ فقال : لم فعلت فى هذا ؛ قال عقبة : إذا نظرت إلى أصبعك لم تقاتل العرب (ج) . وفرض عليهم ٣٦٠ رأسا ثم سألهم : هل وراءكم أحد فلم يعلموا ما وراءهم ، فكر راجعا على قصور واجان ولم يتعرض له ولا نزل عليه (د) ، وسار ٣ أيام . فلما رأوا أنه لم يتعرض لهم أمنوا وانبسطوا ، فأقام عقبة بموضع يسمى اليوم ماء الفرس [4] ، فنفذ ماؤهم وأصابهم العطش حتى كاد يهلكهم .

(ا) ج : تامدة ، البكرى (ص ١٦٢) : تادمكت . (ب) ك : كاغ .
(ج) ك : السرب . (د) ك : ولم يعض له وما يدل عليه ، ب : .. ولا تزال .

(١) أنظر البكرى ، ص ١٨١ – ١٨٢ ؛ الدمشق ، ص ٢٣٩ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ٢١٩

(٢) البكرى ، ص ١٠ وتابع (Quatremère, Notice d'un Manuscrit. p. 20) . قارن الإدريسى ، ص ١٠٩ ؛ يسرد ياقوت (معجم البلدان ، ص ٩٦٠ – ٩٦١) رواية البكرى ويتكلم فى نفس الوقت عن زويلة ضاحية المهدية التى بناها عبيد الله المهدى ؛ مراصد الاطلاع (ج ١ ص ٥٢٣) يقول إن زويلة اسم يطلق على عدد من القرى بين بلاد السودان وافريقية وهى واقعة إزاء جدابية ، ثم يفترض أن هذا اسم مدينة صحراوية أخرى قليلة الأهمية . وبعد القرى يذكر زويلة التابعة للمهدية ، وينهى حديثه بذكر زويلة من أحياء القاهرة . اليعقوبى ، ص ٣٤٥ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٧٨

(٣) قارن البكرى (قصر جوان) ، ص ١٣ . وانظر Fagnan ، هامش ١ ص ٦٢

(٤) قارن البكرى ، ص ١٤ (Quatremère, Notice, d'un Manuscrit, p. 27) .

قال فصلى عقبة بأصحابه (ا) ركعتين ودعوا الله تعالى ، فجعل فرس عقبة يبحث بيده (ب) فى الأرض حتى انكشفت صفاة تنبعث ماء (ج) ؛ فنادى عقبة فى الناس أن يحتفروا ، فاحتفروا فوجدوا ماء معينا زلالا يسمى ماء الفرس .

وكان يقال له عقبة المستجاب لأنه قل ما دعا فى نيل شىء إلا استجيب له ثم كر راجعا إلى قصر واجان من غير طريقه الذى أقبل منه ، فلم يشعروا حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين ، فاستباح ما فى مدينتهم من ذرارى وأموال ونساء ، وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعا إلى زويلة . ومن زويلة كر إلى غدامس بعد خمسة أشهر ، وسار متوجها إلى المغرب . وجانب طريق الجادة ، وأخذ أرض مَزَاته [1] وهم قبيل كبير (د) من البربر ، فافتتح قصورهم إلى قفصة (ر) فافتتحها وافتتح بلاد قسطيلية ، ثم انصرف إلى القيروان . ثم مضى فى بلاد المغرب حتى انتهى إلى أقصى (ر) بلاد السوس ، ثم انصرف راجعا فتوفى شهيدا بتهودة من بلاد الزاب .

بلاد الواحات (س) [2] : وهى بلاد كثيرة فى الصحراء ما بين بلاد إفريقية وبلاد مصر ؛ ولولا قلة الماء فى هذه الصحراء لكان الطريق من إفريقية إلى مصر على الواحات أقرب . والدخول إلى بلاد الواحات من أوجلة ، وزَلّى (ص) ، وغيرها ، التى فى صحراء مدينة طرابلس . وبلاد الواحات (ط) كثيرة التمر والنخل ، وفيها مدن كثيرة مسورة وغير مسورة ؛ وكل مدينة منها لها اسم يعود إلى الواح :

(ا) ك : بالصحابة . (ب) ج ، ك : بئرا . (ج) القراءة فى ك : حتى انكشف صفاة مشبعة ماء .
(د) ك : قبائل شتى . (ر) الجمل الواقعة بين (ر) ، (ر) ناقصة فى ب .
(س) ب : بلد الواحات ، ك : بلد الوقات . (ص) أنظر أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٨٠ ؛ Fagnan ، هامش ١ ص ٦٣
(ط) ك : وبلاد الروم الواح .

(١) عن مزاته وهم قبائل من البربر استعربوا ، أنظر الادريسى ، ص ٥٧ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٣٣

(٢) البكرى ، ص ١٤ وتابع ؛ الادريسى ، ص ٤١ ؛ ياقوت (معجم البلدان ، ج ٤ ص ٨٧٣) يظن أن كلمة واح كلمة قبطية ؛ الدمشق ، ص ٢٣٢ ؛ ابن دقاق ، ص ١٣ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢ ص ١٤٢ – ١٤٣ والهوامش . قارن J. Maspéro et G. Wiet, Mémoires de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, t. 36 p. 219 sq.

أريس الواح(ا) ، وتنيس الواح ، والواح الخارج ، والواح صبْروا ؛ كلها لها اسم مثل هذا وأهلها مسلمون . وهى آخر بلاد الإسلام ، بينهم وبين بلاد النوبة مراحل . وفى بعض مدن الواحات قبائل من لواتة ، وإنما أهلها أقباط(ب) . وزعموا أن فى أقصى بلاد الواحات بلد يقال له واح صبروا ، لا يقع عليه إلا من ضل فى الصحراء ، وفى النادر من الزمان . وأنه بلد عظيم كثير الخيرات من النخل والزرع وجميع الفواكه ومعادن الذهب ، وأنه أخصب بلاد الدنيا وأن الواقع عندهم يكون (ج) فى أخصب عيش ؛ فإذا أرادوا خروجه(د) من بلادهم ، أروه (ر) طرف بلاده (س) فتاقت(ص) نفسه إليها ؛ فلم يلبث عندهم ورحل كيفما (ط) استطاع . وقد وقع فى هذا البلد رجل من عرب بنى قرة ، وبقى فيه مدة ورجع إلى بلاده ، وأخبر بما رأى فيه من الخيرات وبما فى أيدى أربابه من الأموال ، وليس لها مدافعة ولا بصر بالحرب ولا سلاح لأنهم لم يعهدوا الحرب . فأهاج(ع) ذلك أمير بنى قرة وكان اسمه مقرب بن ماض[1] ، وعزم على النهوض إليهم . فأعد أزودة كثيرة وماء كثيرا ، وذهب فى الصحراء يطلب واح صبروا ، وضل(ف) به الرجل الذى دخل ذلك البلد فوصل مدينة الواح الخارج فسأل عن واح صبروا . فقالوا كلهم : ما نعرف له طريقا ولا نجده إلا من ضل فى الصحراء فى النادر من الزمان ، وهو كما ذكر لك وأكثر . فخرج من الواح الخارج يطلب واح صبروا ؛ فبقى يجول فى الصحراء مدة فلم يجده ولا قدر على الوصول إليه ، فخاف نفاد الزاد فكر راجعا . فنزل فى رجوعه ذات ليلة ربوة من الأرض فى بهاء (ك) تلك الصحراء ، فوجد بعض أصحابه فى نواحى تلك الربوة بيتا للأول ، فبحثوا عليه فإذا هو لبن من نحاس أحمر ، فزادوا فى البحث فوجدوا أساس سور من نحاس أحمر للأول . فأوقروا جميع ما عندهم من الظهر من تلك اللبن ، وساروا حتى أتوا مدينة الواح الخارج فباعوا

(ا) ك : أرسيس . (ب) النص : انباط أنظر هامش (د) ص ١٤٤
(ج) «يكون» ناقصة فى ك . (د) ك : اخراجه .
(ر) «أروه» ناقصة فى ك . (س) ب : ضرب .
(ص) ب : فتقات ، ك : فاشتاقه . (ط) ك : كيف . (ع) ك : فأباح .
(ف) النص : ودل . (ك) «بهاء» ناقصة فى ج .

(1) وقعت هذه الحادثة ، حسب البكرى ، حوالى سنة ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م ؛ انظر الترجمة ، ص ٤١ والهوامش . وابن دقاق (ص ١٣) يروى قصة مشابهة .

ذلك النحاس بأموال كثيرة . ثم أرادوا أن يرجعوا إلى الربوة التى وجدوا فيها النحاس ، فلم يقدروا عليها وضلوا طريقها ؛ ولو وجدوها لكان فيها غناهم إلى آخر الدهر .

قيل أتى رجل من أهل الواح الخارج إلى مقرب بن ماض فأخبره أنه دخل حائط (ا) نخل كان له فوجد أكثر تمره قد أكل ، ووجد فيه أثر قدم إنسان لا يشبه هذا الخلق فى العظم . قال فاحترسه هو وأهله (ب) ليال حتى طرقهم ذلك الشخص فرأوا خلقا عظيما لم يعهد مثله ؛ فجعل يأكل التمر ، فلما هموا به فاتهم فلم يعلموا به أمرا . قال فنهض معهم حتى وقف على أثر ذلك الشخص فاستعظمه ، وأمرهم أن يحفروا زبية فى الموضع الذى كان يدخل فيه ، وغطوا أعلاها بالحشيش ورقبوه . ففعلوا ذلك ورقبوه ليال (ج) متتابعة ؛ فلما كان ذات ليلة أقبل ذلك الشخص على عادته ، فتردى فى الزبية فبادروا إليه بجميعهم وغلبوه بكثرتهم حتى أخذوه ، فإذا بامرأة سوداء عظيمة الخلقة مفرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة . فرآها مقرب بن ماض فهاله أمرها ، فكلموها بكل لغة علموها من لغات (د) السودان فلم تجاوب بواحدة منها ، وتكلمت بكلام لا يفهم . وبقيت عندهم أياما يأتمرون فى أمرها ، فقال لهم مقرب : نرى أن ترسل ، وتركب الخيل العتاق السوابق والنجب العشار(ر) فى إثرها إلى أن يوقف على موضعها ويعلم حقيقة أمرها (س) . فلما أرسلت ، فاتت الخيل والنجب وبارت الرياح فلم يقفوا على حقيقة خبرها (س) [1] . ويذكر أن بين بلاد الواح وبلاد الجريد من إفريقية رمال عريضة فيها بقاع تعرف بالجزائر وهى كثيرة النخل والعيون ، لا عمران فيها ، ولا أنيس بها . ويقال إنه يسمع فيها أبدا عزف الجن ، ولاشك أنها كانت بلادا عامرة . ويتكدس (ص) هناك من التمر تحت النخل أكوام لا يقع عليها أحد إلا الطير والوحش ، وربما انتجعه الناس فى السنين (ط) الجدبة وعند الضرورة .

(ا) ك : غائط . (ب) ك : وأهاليه . (ج) ك : ليلا .
(د) ك : لغة . (ر) ك : والبحث العار . (س) الجمل الواقعة بين
(س) ، (س) ناقصة فى ك . (ص) ك : يتكردس . (ط) ك : السير .

(1) البكرى ، ص ١٦ والترجمة ، ص ٤٢

قال الناظر : وصح عندنا أن قبيلة سليم المنقطعين فى صحراء طرابلس ينتجعون تمر هذه المواضع ، ومنهـا يتعيشون ، وإليها يلجأون عند المطلبة لهم وفيهـا يعتصمون ؛ وسمعت هذا قبل الوقوف عليه بمنه (ا).

ذكر بلاد الجريد من إفريقية

وإنما سميت بلاد الجـريد لـكثرة النخيل بهـا ؛ وهى مدن كثيرة وأقطار (ب) (١) واسعة وعمائر متصلة ، كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات . وهى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء . وفيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة . فأولها من جهة الساحل مدينة قابس وقد ذكرناها فى البلاد الساحلية .

مدينة حامّة مَطْماطة (٢) : وهى مدينة قديمة مسورة ، وعليها هزم الخليفة أبو يوسف — أدام الله تأييده — شقى ميورقة وأستأصل شأفته (ج) ؛ وسكانها قوم من البربر يعرفون (د) بمطماطة . وهى كثيرة التمر والزيتون والفواكه ؛ وفى المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة فإذا استقى منها الماء برد لحينه ، ومنها يشربون ويسقون غاباتهم وغلاتهم .

مدينة قَفْصَة (٣): مدينة كبيرة قديمة أزلية ، كان لها سور حصين من صخر جليل بأحكم صناعة يخال لرائيه أنه كما فرغ من عمله . ويقال إن الذى بناه شيبان (ر) غلام النمرود بن كنعان الجبار ، وكان اسمه منقوشا على باب

(ا) ب : بمنا ، ج : بمنى . (ب) ب : وانظار . (ج) ك : شوكته .
(د) ك : يوفون . (ر) ك : شبان ، البكرى (ص ٤٧) : شنتيان .

(١) الإدريسى (ص ١٠٣) يسميها بلاد التمر .

(٢) لا يتكلم البكرى (ص ٤٨) إلا عن الحمة . قارن الإدريسى ، ص ١٠٤ ؛ اليعقوبى (حمة تقيوس) ، ص ٣٥٠ ؛ وعن هزيمة بنى غانية فى حمة مطماطة أنظر E. Lévi-Provençal, Lett. off. alm. No. 30 p. 187, étude, p. 60 ؛ التيجانى (حمة تقيوس وحمة بهلول) ، J. A. 1852 II, 185 trad., p. 124 . وهنا يخطئ عبد الواحد المراكشى (المعجب ، ص ١٩٦) عند ما يقول إن هذه الوقعة حدثت فى حمة تقيوس .

(٣) قارن البكرى ، ص ٤٧ ؛ الإدريسى ، ص ١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٥١ ؛ الدمشقى ، ص ٢٣٨ ؛ اليعقوبى ، ص ٣٤٧ ؛ أبو الفدا ، الترجمة ، ج ٢=

من أبوابها ، وكانت له أربعة أبواب . فلم تزل أهواء أهلها تضطرب وقلوبهم تنقلب من حين توحيدهم بزعمهم سنة ٥٥٥ [= ١١٦٠] (ا) ، فثاروا على الموحدين وسفكوا دماءهم وقدموا على أنفسهم رجلا منهم يعرف بعلى بن الرند (ب) ، فملكهم إلى سنة ٥٧٦ [هـ] [= ١١٨٠] وأخرجه منها الخليفة أبو يعقوب بن الإمام الخليفة أمير المؤمنين وولاه عمل مدينة سلا ، فمات بها . وبقى أهل قفصة إلى سنة ٥٨١ [هـ] [١١٨٥] فرعليهم الغاوى الشقى الميورقى ، فأدخلوه البلد وملكوه . وترك بها جماعة من الأغزاز الموالين له ، فحصرهم بها الخليفة أبو يوسف — رضى الله عنه — فرغبوا فى عتق رقابهم (ج) على أن يكونوا عبيدا للأمر العزيز مماليكا للخليفة ، وأسلموا من سواهم ، فعفا الخليفة عن جرمهم (ج) وأعتقهم ، وترك أهل قفصة فى بلدهم ، وقتل المارقين الميورقيين لنفاقهم وشقاقهم كما قيل :

يا ذلة التلثم عند الكر (د) إذ يبتغون عـودة للأمر

ولما تقرر نفاق أهل قفصة وترددهم وشكهم وعتوهم وإفكهم ، رأى الإمام أمير المؤمنين رضه أن كف شرهم وخسف مكرهم لا يكون إلا بهدم سورهم ، وكشف ستورهم . فأمر للحين بهدمه فلم يكن فيه للمحلة إلا من ظهر يوم العصر الثالث منه ، ولم يبق إلا أساسه وبرج بقرب برج بن زوّاج شاهدا

(ا) القراءة فى ك : من حين توحيدهم الى سنة خمس وخمسين .
(ب) ك : ابن الزبير . (ج) الجمل الواقعة بين (ج) ، (ج) ناقصة فى ك .
(د) ك : الكد .

= ص ١٩٧ ؛ مراصد الاطلاع ، ج ٢ ص ٤٣٧ . رواية صاحب الاستبصار مفصلة هنا أكثر من غيرها .

عن ابن الرند وثورة قفصة الأولى على عهد الموحدين أنظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٨٧ ؛ ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٣٠٩ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٣٤ ، ٢٠٣ ؛ الزركشى ، ص ٩

وعن ابن غانية وافتتاح المدينة على عهد المنصور وهدم أسوارها ، أنظر E. Lévi-Provençal (مجموعة رسائل موحدية) النص رقم ٣١ ، ٣٢ والدراسة ص ٦١ وتابع ؛ ابن الاثير ، ج ١١ ص ٣٤٢ — ٣٤٣ ؛ عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ؛ ابن عذارى (Anonimo) ، ص ٥٣ ؛ التيجانى ، الرحلة (الترجمة) ، ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون ، الترجمة (Berbères) ، ج ٢ ص ٢١١